بعث بئر معونة[١]

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي رحمه الله قال: حدثنا الحسن بن إسماعيل، قال: حدثنا عبد الملك بن بجير، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، قال: حدثنا سنيد، قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن حميد عن أنس، قال: كان شباب من الأنصار يسمعون القرآن يتحون ناحية من المدينة يحسب أهلوهم أنهم في المسجد ويحسب أهل المسجد أنهم في أهليهم، فيصلون من الليل حتى إذا قارب الصبح احتطبوا الحطب واستعذبوا الماء فوضعوه على أبواب حجر النبي ﷺ . قال: فبعثهم جميعاً إلى بئر معونة، فاستشهدوا. فدعا النبي ﷺ على قتلتهم أياماً[٢].

قال سنيد: وحدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قال:

بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الأنصاري أحد بني النجار وهو أحد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكباً من المهاجرين والأنصار، فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب على بئر معونة وهي من مياه بني عامر، فاقتتلوا، فقتل المنذر بن عمرو وأصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم، فلم يرعهم إلا الطير تحوم في السماء يسقط من خراطيمها علق الدم[٣]، فقال أحد النفر: قتل أصحابنا، والرحمن. وذكر سنيد تمام الخبر في ذلك وفي بني النضير[٤]، وسياق ابن إسحاق لخبرهم أحسن وأبين، قال ابن إسحاق[٥]:

وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم، ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفر في آخر تمام السنة الثالثة من الهجرة، على رأس أربعة أشهر من أحد. وكان سبب ذلك أن أبا براء الكلابي من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن

(١، ٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٣٤٨٧)، وابن حبان في صحيحه (٧٢٦٣)، والبيهقي في الكبرى (٢٩١٧).

وحديث دعاء النبي ﷺ على قتلتهم من عصية ورعل وذكوان أخرجه البخاري (١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ٣١٧٠، ٤٠٨٨، ٤٠٩٠، ٤٠٩١، ٤٠٩٤)، ومسلم (٦٧٧).

(٣) علق الدم: القطعة المتجمدة منه.

(٤) رواه ابن جرير وابن المنذر عن عكرمة، كما في الدر المنثور للسيوطي (٣ / ٣٧).

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ١٣٨).

صعصعة ويعرف بملاعب الأسنة[١] واسمه عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب وفد على رسول الله ﷺ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد، وقال: يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك. فقال عليه السلام: «إني أخشى عليهم أهل نجد»، فقال أبو براء: أنا لهم جار. فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الساعدي وهو الذي يعرف بالمعنق[٢] ليموت: لقب غلب عليه، والأكثر يقولون: أعنق ليموت في أربعين رجلاً من المسلمين، وقد قيل: في سبعين رجلاً من خيار المسلمين، منهم الحارث بن الصمة، وحرام بن ملحان أخو أم سليم وأم حرام وعروة بن أسماء بن الصلت السلمى، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق. وأمر على جميعهم المنذر بن عمرو.

فنهضوا حتى نزلوا بئر معونة بين أرض بني عامر وحرة بني سليم وهي إلى حرة بني سليم أقرب ثم بعثوا منها حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عدو الله عامر بن الطفيل. فلما أتاه لم ينظر في كتابه، حتى عدا عليه فقتله. ثم استصرخ عليهم بني عامر، فأبوا أن يجيبوه، وقالوا: لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً. فاستصرخ قبائل من بني سليم: عصية ورعلا وذكوان، فأجابوه إلى ذلك. فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم. فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوا، حتى قتلوا، عن آخرهم إلا كعب ابن زيد أخا بني دينار بن النجار، فإنهم تركوه وبه رمق. وارتث[٣] من بين القتلى وعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً رحمه الله.

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار من بني عمرو بن عوف وهو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح، فنظر الطير تحوم على العسكر، فقالا: والله إن لهذه الطير لشأناً فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة. فقال المنذر بن محمد الأنصاري لعمرو بن أمية الضمري ما ترى؟ فقال:

(١) سمي عامر بن مالك بهذا الاسم يوم سوبان، ويوم سوبان هذا كان يوما من أيام جبلة، وهي أيام كانت بين قيس وتميم، وجبلة اسم لهضبة عالية، وفي يوم سوبان أسلم طفيل بن مالك أخاه عامر لأعدائه وفر، فقال في ذلك بعض الشعراء:

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا ... يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

فسمى ملاعب الرماح وملاعب الأسنة. انظر «الروض الأنف» (٣ / ٢٣٨).

(٢) المعنق: اسم فاعل من أعنق، إذا سار العنق، وهو السير السريع، وإنما لقب المنذر بذلك؛ لأنه أسرع للشهادة.

(٣) ارتث: أي رفع من بين القتلى وفيه رمق.

أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر. فقال الأنصاري: ما كنت لأرغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً. فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقة عامر بن الطفيل وجز ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه. وخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة(١) من صدر قناة(٢) أقبل رجلان من بني عامر وقيل: من بني سليم حتى نزلا معه في ظل هو فيه، وكان معهما عقد من رسول الله ﷺ ولم يعلم به عمرو بن أمية. وكان قد سألهما حين نزلا: ممن أنتما؟ قالا: من بني عامر. فأمهلهما، حتى إذا ناما عدا عليهما، فقتلهما، وهو يرى أنه قد أصاب منهما ثأره من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ. فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر قال: «**لقد قتلت قتيلين كان لهما مني جوار، لأدينهما(٣)، هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً**».

فبلغ أبا براء ما صنع عامر بن الطفيل فشق عليه إخفاره إياه. وقال حسان بن ثابت يحرض أبا براء على عامر بن الطفيل:

بني أمّ البنين ألم يرعكم	وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكّم عامرٍ بأبي براءِ	ليخفره وما خطأٌ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي	فما أحدثت في الحدثان بعدي
أبوك أبو الحروب أبو براءٍ	وخالك ماجدٌ حكم بن سعد

أم البنين هي أم أبي براء من بني عامر بن صعصعة. فحمل ربيعة بن أبي براء على عامر بن الطفيل، فطعنه بالرمح، فوقع في فخذه، فأشواه(٤)، ووقع عن فرسه. فقال: هذا عمل أبي براء، إن أنا مت فدمي لعمي فلا يتبعن به، وإن أعش فسأرى رأيي.

(١) القرقرة: هي قرقرة الكدر على ثمانية برد من المدينة.
(٢) قناة: واد يأتي من الطائف، ويصب في قرقرة الكدر.
(٣) لأدينهما: أؤدي ديتهما.
(٤) أشواه: أخطأ قتله.

غزوة بني النضير

وكان سبب غزوة بني النضير أن رسول الله ﷺ لما قال لعمرو بن أمية: «**لقد قتلت قتيلين لأدينهما**» خرج إلى بني النضير مستعيناً بهم في دية ذينك القتيلين. فلما كلمهم قالوا: نعم يا أبا القاسم اجلس حتى تطعم وترجع بحاجتك فنقوم ونتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا له. فقعد رسول الله ﷺ مع أبي بكر وعمر وعلي ونفر من الأنصار إلى جدار من جدرهم.

فاجتمع بنو النضير، وقالوا: من رجل يصعد على ظهر البيت فيلقي على محمد صخرةً فيقتله، فيريحنا منه؟ فإنا لن نجده أقرب منه الآن. فانتدب لذلك عمرو بن جحاش ابن كعب فأوحى الله عز وجل إلى رسول الله ﷺ بما ائتمروا به من ذلك، فقام ولم يشعر أحداً ممن معه.

ونهض إلى المدينة، فلما استبطأه أصحابه، وراث[١] عليهم خبره أقبل رجل من المدينة، فسألوه، فقال: لقيته وقد دخل أزقة المدينة. وقالت اليهود لأصحابه: لقد عجل أبو القاسم قبل أن نقيم له حاجته. فقام أصحابه ولحقوه بالمدينة. فأخبرهم بما أوحى الله عز وجل إليه مما أرادت اليهود فعله به.

وأمر ﷺ أصحابه بالتهيؤ لقتالهم وحربهم. وخرج إليهم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وذلك في ربيع الأول أول السنة الرابعة من الهجرة. فتحصنوا منه في الحصون، فحاصرهم ست ليال، وأمر بقطع النخل وإحراقها، وحينئذ نزل تحريم الخمر.

ودس عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه من المنافقين إلى بني النضير: إنا معكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم. فاغتروا بذلك. فلما جاءت الحقيقة خذلوهم وأسلموهم، فألقوا بأيديهم. وسألوا رسول الله ﷺ أن يكف عن دمائهم ويجليهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح. فاحتملوا كذلك إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام. وكان ممن سار منهم إلى خيبر أكابرهم حيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق. فدانت لهم خيبر.

وقسم رسول الله ﷺ أموال بني النضير بين المهاجرين خاصة، إلا أنه أعطى منها أبا دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف وكانا فقيرين. وإنما قسمها رسول الله ﷺ بين

---

(١) راث: أبطأ.

المهاجرين؛ لأنهم إذ قـدموا المدينة شاطرتهم الأنصار ثمارها، وعلى ذلك بايعوا ليـلة العقبة على نصرته ومواساة أصحابه، فرد المهاجرون على الأنصار ثمارهم.

ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان: يامين بن عمير بن كعب بن عمرو بن جحاش، وأبو سعيد بن وهب، أسلما فأحرزا أموالهما. وذكر أن يامين بن عمير جعل جُعْلاً لمن قتل ابن عمه عمرو بن جحاش لما هم به في رسول الله ﷺ .

ونزلت سورة الحشر في بني النضـير، قال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾[الحشر: ٢] إلى قوله: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾[الحشر: ١١] إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٧].

غزوة ذات الرقاع

ثم أقام رسول الله ﷺ بعد إجلاء بني النضير بالمدينة شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى صدر السنة الرابعة بعد الهجرة. ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة بن سعد ابن غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري، وقيل: بل استعمل يومئذ عليها عثمان ابن عفان، والأول أكثر.

ونهض عليه السلام حتى نزل نخلاً، وإنما سميت هذه الغزوة ذات الرقاع؛ لأن أقدامهم نقبت فكانوا يلفون عليها الخرق. وقيل: بل قيل لها ذات الرقاع لأنهم رقعوا راياتهم فيها. ويقال: ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع تدعى ذات الرقاع. وقيل: بل الجبل الذي نزلوا عليه كانت أرضه ذات ألوان من حمرة وصفرة وسواد، فسموا غزوتهم تلك ذات الرقاع. والله أعلم.

ولقى النبي ﷺ بنخل جمعان من غطفان، فتوقفوا، إلا إنه لم يكن بينهم قتال. وصلى رسول الله ﷺ يومئذ صلاة الخوف. وقد أوضحنا اختلاف الروايات في التمهيد(١) في هيئة صلاة الخوف يوم ذات الرقاع، وفي انصرافهم من تلك الغزوة أبطأ جمل جابر بن عبد الله، فنخسه النبي ﷺ، فانطلق متقدماً بين يدي الركاب ثم قال له: **«أتبيعنيه؟»** فابتاعه منه، وقال: لك ظهره إلى المدينة. فلما وصل إلى المدينة أعطاه الثمن، ووهب له الجمل، لم يأخذه منه(٢).

وفي هذه الغزاة أتى رجل من بني محارب بن خصفة ليفتك برسول الله ﷺ وشرط ذلك لقومه، وأخذ سيف رسول الله ﷺ وأصلته(٣) بعد أن استأذنه في أن ينظر إلى السيف، فلما أصلته هم به، فصرفه الله عنه، ولحقه بَهَت، فقال: من يمنعك مني يا محمد؟ قال: **«الله»**، فرد السيف في غمده، فقيل: إن فيه نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ﴾ الآية [المائدة: ١١](٤) وقيل: نزلت هذه الآية

---

(١) انظر التمهيد للمصنف (١٥ / ٢٦٢).

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (٤ / ١٥٩)، وأخرجه أيضا أحمد في مسنده (١٤٥٢٠)، والبخاري (٢٧١٨)، ومسلم (٧١٥)، والنسائي (٤٦٣٨).

(٣) أصلته: شهره.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٣٧٤)، والبخاري (٤١٢٧)، ومسلم (٨٤٣ / ٣١١)، والنسائي في الكبرى (٨٨٥٢) عن جابر.

فيما أراد بنو النضير أن يفعلوا به من رمي الحجر عليه وهو جالس إلى حائط حصنهم.

غزوة بدر الثالثة

وكان أبو سفيان يوم أحد قد نادى رسول الله ﷺ: موعدنا معكم بدر في العام المقبل، فأمر رسول الله ﷺ بعض أصحابه أن يجيبه بنعم، وأقام رسول الله ﷺ منصرفه من ذات الرقاع بالمدينة بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً. ثم خرج في شعبان من السنة الرابعة للميعاد المذكور، واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول. ثم نهض حتى أتى بدراً، فأقام هناك ثماني ليال.

وخرج أبو سفيان بن حرب في أهل مكة حتى بلغ عسفان، ثم انصرف، واعتذر هو وأصحابه بأن العام عام جدب.

غزوة دومة الجندل(١)

وانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأقام بها إلى أن انسلخ ذو الحجة من السنة الرابعة من الهجرة، ثم غزا عليه السلام(٢) دومة الجندل في ربيع الأول، وذلك أول السنة الخامسة من احتلاله المدينة. واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة، وانصرف عليه السلام من طريقه قبل أن يبلغ دومة الجندل، ولم يلق حرباً.

(١) دومة الجندل بضم أوله وفتحه حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيئ كانت به بنو كنانة من كلب. معجم البلدان(٢/ ٤٨٧).

(٢) وسبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ بلغه أن بدومة الجندل جمعا كثيرا وأنهم يظلمون من مر بهم من الضافطة وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة. الطبقات الكبرى(٢/ ٦٢).

غزوة الخندق[١]

ثم كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة، وكان سببها أن نفراً من اليهود، منهم كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وسلام بن مشكم، وحيي بن أخطب النضريون، وهوذة بن قيس وأبو عمار من بني وائل وهم كلهم يهود، وهم الذين حزبوا الأحزاب وألبوا وجمعوا، خرجوا في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل، فأتوا مكة، فدعوا قريشاً إلى حرب رسول الله ﷺ ووعدوهم من أنفسهم بعون من انتدب إلى ذلك، فأجابهم أهل مكة إلى ذلك. ثم خرج اليهود المذكورون إلى غطفان فدعوهم إلى مثل ذلك فأجابوهم.

فخرجت قريش يقودهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري على فزارة والحارث بن عوف المري على بني مرة ومسعود ابن رخيلة على أشجع. فلما سمع رسول الله ﷺ باجتماعهم وخروجهم إليه شاور أصحابه، فأشار عليه سلمان بحفر الخندق، فرضي رأيه. وقال المهاجرون يومئذ: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت**»[٢].

وعمل المسلمون في الخندق مجتهدين، ونكص المنافقون، وجعلوا يتسللون لواذاً[٣]. فنزلت فيهم آيات من القرآن ذكرها ابن إسحاق وغيره. وكان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره فأعانه حتى كمل الخندق. وكان فيه آيات بينات وعلامات للنبوات مذكورات عند أهل السير والآثار: منها أن كدية[٤] اعتاصت على المسلمين، فدعوا رسول الله ﷺ إليها، فضربها بالفأس ضربة طار منها الشرار وقطع منها الثلث، وقال: «**الله أكبر فتح قيصر والله إني لأرى القصور الحمر**». ثم ضرب الثانية فقطع منها الثلث الثاني.

(١) وهي غزوة الأحزاب، وسبب تسميتها بالخندق فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر النبي ﷺ، وأما تسميتها الأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين، وهم قريش وغطفان واليهود، ومن تبعهم، وقد أنزل الله تعالى في هذه القصة صدر سورة الأحزاب.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣ / ٦٩١)، والطبراني في الكبير (٦٠٤٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٦ / ١٨٩): رواه الطبراني، وفيه كثير بن عبد الله المزني، وقد ضعفه الجمهور، وحسن الترمذي حديثه، وبقية رجاله ثقات. وقال الألباني ـ رحمه الله ـ في ضعيف الجامع (٣٢٧٢)، والضعيفة (٣٧٠٤): ضعيف جدا.

(٣) اللواذ: التستر بشيء عند الفرار، وهو إشارة إلى تعللهم بالأعذار.

(٤) كدية: الحجر الضخم الصلد.

وقال: «**الله أكبر فتح كسرى والله إني لأرى القصور البيض**». ثم ضرب الثالثة فقطع الثلث الباقي، وقال: «**الله أكبر فتح اليمن والله إني لأرى باب صنعاء**»[١]. وقد نصر الله عبده وصدق وعده[٢]، والحمد لله رب العالمين.

فلما فرغ رسول الله ﷺ أقبلت قريش في نحو عشرة آلاف بمن معهم من كنانة وأهل تهامة. وأقبلت غطفان بمن معها من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب واحد. وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى نزلوا بظهر سلع في ثلاثة آلاف، وضربوا عسكرهم، والخندق بينهم وبين المشركين. واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم في قول ابن شهاب.

وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي وكان صاحب عقد بني قريظة ورئيسهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ وعاهده. فلما سمع كعب ابن أسد بحيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، وأبى أن يفتح له، فقال له: افتح لي يا كعب بن أسد، فقال: لا أفتح لك فإنك رجل مشؤوم تدعوني إلى خلاف محمد وأنا قد عاقدته وعاهدته ولم أر فيه إلا وفاءً وصدقاً، فلست بناقض ما بيني وبينه. فقال حيي: افتح لي حتى أكلمك فأنصرف عنك، قال: لا أفعل، قال: إنما تخاف أن آكل معك جشيشتك[٣]. فغضب كعب وفتح له، فقال له: إنما جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش وسادتها وغطفان وقادتها قد تعاقدوا على أن يستأصلوا محمداً ومن معه. فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام[٤] لا غيث فيه، ويحك يا حيي! دعني فلست بفاعل ما تدعوني إليه. فلم يزل حيي بكعب يعده ويغره، حتى رجع إليه وعاهده على خذلان النبي ﷺ وأصحابه وأن يصير معهم. وقال له حيي بن أخطب: إن انصرفت قريش وغطفان دخلت عندك بمن معي من يهود فلما انتهى خبر كعب وحيي إلى رسول الله ﷺ والمسلمين بعث سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وسيد الأوس سعد بن معاذ وبعث معهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير، وقال لهم رسول الله ﷺ: «**انطلقوا إلى بني قريظة فإن كان ما**

---

(١) كأنما سلم رسول الله ﷺ لأصحابه في ذلك اليوم مفاتيح تلك البلدان.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٧١٦)، والنسائي في الكبرى (٨٨٥٨)، وأبو يعلى في مسنده (١٦٨٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٦ / ١٨٩): رواه أحمد، وفيه ميمون أبو عبد الله وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات.

(٣) الجشيشة: طعام يصنع من الجشيش، وهو البر يطحن غليظاً، فإذا طبخ وألقي عليه بعض اللحم أو التمر فهو الجشيشة.

(٤) الجهام: بالفتح السحاب الذي فرغ ماؤه. اللسان (١٢ / ١١٠).

قيل لنا حقاً فالحنوا لنا لحناً نعرفه، ولا تفتوا في أعضاد المسلمين، وإن كان كذباً فاجهروا به للناس». فانطلقوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما قيل لهم عنهم، ونالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: لا عهد له عندنا. فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكانت فيه حدة، فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم، فالذي بيننا وبينهم أكبر من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد حتى أتيا رسول الله ﷺ في جماعة من المسلمين، فقالا: عضل والقارة، يعرضان بغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع: خبيب وأصحابه. فقال رسول الله ﷺ: «**أبشروا يا معشر المسلمين**»(١).

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتى المسلمين عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظنوا بالله الظنون، وأظهر المنافقون كثيراً مما كانوا يسرون، فمنهم من قال: إن بيوتنا عورة فلننصرف إليها(٢)، فإنا نخاف عليها، وممن قال ذلك أوس بن قيظى إلا أنه مع ذلك ولد ولداً سيداً فاضلاً وهو عرابة بن أوس الذي قال فيه الشاعر:

إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ   تلقّاها عرابة باليمين

وقد قيل: إن له صحبة بالنبي ﷺ، ومنهم من قال: يعدنا محمد أن نفتح كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط(٣)، وممن قال ذلك معتب ابن قشير أحد بني عمرو بن عوف.

وأقام رسول الله ﷺ وأقام المشركون بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصا. فلما رأى رسول الله ﷺ أنه اشتد على المسلمين البلاء بعث إلى عيينة بن حصن الفزاري وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة لينصرفا بمن معهما من غطفان وأهل نجد ويرجعا بقومهما عنهم. وكانت هذه المقالة مراوضةً ولم تكن عقداً. فلما رأى رسول الله ﷺ أنهما قد أنابا ورضيا أتى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر لهما واستشارهما، فقالا: يا رسول الله هذا أمر تحبه فنصنعه لك، أو شيء أمرك الله به فنسمع له ونطيع، أو أمر تصنعه لنا؟ قال: «**بل أمر أصنعه لكم، والله ما أصنعه إلا لأنني قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس**

---

(١) ذكره ابن إسحاق كما في السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ١٧٨، ١٧٩).

(٢) وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ [الأحزاب: ١٣].

(٣) وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾ [الأحزاب: ١٢].

واحدة». فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، والله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وما طمعوا قط بأن ينالوا منا ثمرة إلا بشراء أو قرى، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فسر رسول الله ﷺ بذلك، وقال لهم: «**أنتم وذاك**». وقال لعيينة والحارث: انصرفا، فليس لكم عندنا إلا السيف. وتناول الصحيفة وليس فيها شهادة فمحاها.

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون على حالهم والمشركون يحاصرونهم ولا قتال منهم إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود العامري من بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، وضرار بن الخطاب الفهري وكانوا فرسان قريش وشجعانهم أقبلوا حتى وقفوا على الخندق. فلما رأوه قالوا: إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت منه وصاروا بين الخندق وبين سلع. وخرج علي بن أبي طالب ﵁ في نفر من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها، وأقبلت الفرسان نحوهم. وكان عمرو بن عبد ود قد أثبتته الجراح يوم بدر، فلم يشهد أحداً وأراد يوم الخندق أن يرى مكانه. فلما وقف هو وخيله نادى: هل من مبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب ﵁، وقال له: يا عمرو إنك عاهدت الله فيما بلغنا عنك أنك لا تدعى إلى إحدى خلتين إلا أخذت إحداهما، قال: نعم، وقال: إني أدعوك إلى الله عز وجل والإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك. قال: وأدعوك إلى البراز، قال: يا ابن أخي والله ما أحب أن أقتلك لما كان بيني وبين أبيك، فقال له علي: أنا والله أحب أن أقتلك. فحمى عمرو بن عبد ود العامري ونزل عن فرسه، وسار نحو علي، فتنازلا وتجاولا، وثار النقع(١) بينهما حتى حال دونهما، فما انجلى النقع حتى رؤي علي على صدر عمرو يقطع رأسه. فلما رأى أصحابه أنه قد قتله علي اقتحموا بخيلهم الثغرة منهزمين هاربين، وقال علي ﵁ في ذلك:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ... ونصرت دين محمدٍ بضراب
لا تحسبنّ اللّه خاذل دينه ... ونبيّه يا معشر الأحزاب
نازلته وتركته متجدّلا ... كالجذع بين دكادكٍ وروابي(٢)

---

(١) النقع: الغبار.

(٢) متجدلا: لاصقا بالأرض، الدكادك: جمع دكداك وهو الرمل اللين، والروابي: التلال والمرتفعات.

ورمي يومئذ سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل[١]، رماه جبان بن قيس ابن العرقة أحد بني عامر بن لؤي. فلما أصابه قال له: خذها إليك وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار، وقيل: بل الذي رماه أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم.

ولحسان بن ثابت مع صفية بنت عبد المطلب خبر طريف يومئذ، وكان حسان قد تخلف عن الخروج مع الخوالف بالمدينة ذكره ابن إسحاق[٢] وطائفة من أهل السير، وقد أنكره منهم آخرون، فقالوا: لو كان في حسان من الجبن ما وصفتم لـهجاه بذلك من كان يهاجيه في الجاهلية والإسلام، ولهجي بذلك ابنه عبد الرحمن، فإنه كان كثيراً ما يهاجي الناس من شعراء العرب مثل النجاشي وغيره.

وأتى رسول الله ﷺ نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي، فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، ولم يعلم قومي بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: «**إنما أنت رجل واحد من غطفان، فلو خرجت فخذلت عنا كان أحب إلينا من بقائك فاخرج فإن الحرب خدعة**»[٣]. فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان ينادمهم في الجاهلية فقال: يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: قل، فلست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم

(١) الأكحل: عرق في الذراع يكثر فصده، أو هو عرق الحياة وفي كل عضو منه شعبة.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ١٨٧)، وتاريخ الطبري (٢ / ٩٦)، والحاكم (٤ / ٥٦)، والبيهقي في الكبرى (١٢٥٥٢)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: عروة لم يدرك صفية والبداية والنهاية (٤ / ١٠٩).وقصة هذا الخبر: كانت صفية بنت عبدالمطلب في فارع حصن حسان بن ثابت قالت: وكان حسان ابن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان. قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت.

قالت: فقلت: يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل إليه فاقتله قال: يغفر الله لك يابنة عبدالمطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا.

قالت: فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته. قالت: فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان انزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل قال: ما لي بسلبه من حاجة يابنة عبدالمطلب.

السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ١٨٨).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ١٨٨).

ونساؤكم، وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه، فإن رأوا نهزةً أصابوا وأن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل، ولا طاقة لكم به، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُناً. ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لهم: قد عرفتم ودي لكم معشر قريش وفراقي محمداً وقد بلغني أمر أرى من الحق أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموا علي، قالوا: نفعل. قال: أتعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما كان من خلافهم محمداً وأرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ من قريش وغطفان رهناً رجالاً ونسلمهم إليكم لتضربوا أعناقهم، ثم نكون معكم على من بقي منهم حتى تستأصلهم. ثم أتى غطفان، فقال مثل ذلك. فلما كانت ليلة السبت وكان ذلك من صنع الله عز وجل لرسوله وللمؤمنين أرسل أبو سفيان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان يقول لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر فاغدوا صبيحة غد للقتال حتى نفاجئ محمداً. فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت، وقد علمتم ما نال منا من تعدى في السبت، ومع ذلك فلا نقاتل معكم أحداً حتى تعطونا رهناً. فلما رجع الرسول بذاك قالوا: صدقنا والله نعيم بن مسعود. فردوا إليهم الرسل، وقالوا: والله لا نعطيكم رهناً أبداً، فاخرجوا معنا إن شئتم، وإلا فلا عهد بيننا وبينكم، فقال بنو قريظة: صدق والله نعيم بن مسعود. وخذل الله بينهم واختلفت كلمتهم وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً في ليال شديدة البرد، فجعلت الريح تقلب أبنيتهم، وتكفأ قدورهم.

فلما اتصل برسول الله ﷺ اختلاف أمرهم بعث حذيفة بن اليمان ليأتيه بخبرهم، فأتاهم واستتر في غمارهم، وسمع أبا سفيان يقول: يا معشر قريش ليتعرف كل امرئ منكم جليسه. قال حذيفة: فأخذت بيد جليسي وقلت: من أنت ؟ فقال: أنا فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، ولقد هلك الكراع[1] والخف وأخلفتنا بنو قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون، ما يستمسك لنا بناء ولا تثبت لنا قدر ولا تقوم لنا نار، فارتحلوا، فإني مرتحل. ووثب على جمله، فما حل عقال يده إلا وهو قائم. قال حذيفة: ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي إذ بعثني، وقال لي: «**مر إلى القوم فاعلم ما هم عليه ولا تحدث شيئاً**» لقتلته بسهم. ثم أتيت رسول الله ﷺ عند رحيلهم فوجدته قائماً يصلي، فأخبرته، فحمد الله.

ولما أصبح رسول الله ﷺ وقد ذهب الأحزاب رجع إلى المدينة ووضع المسلمونْ

---

(١) الكراع: الخيل.

سلاحهم، فأتاه جـبريل ـ عليه السلام ـ في صورة دحية بن خليفـة الكلبي على بغلة عليها قطيفة ديباج فقال له: يا محمد إن كنتم قد وضعتم سلاحكم فما وضعت الملائكة سلاحها، إن الله يأمرك أن تخرج إلى بني قريظة وإني متقدم إليهم فمزلزل بهم.

فأمر رسـول الله ﷺ منادياً ينادي في الناس: «**لا يصلين أحـدكم العصـر إلا في بني قريظة**»(١). وكان سعد بن معاذ إذ أصابـه السهم دعا ربه، فقال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيـئاً فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجـاهدهم من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه، اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠ / ٦٩).

غزوة بني قريظة

فخرج المسلمون مبادرين إلى بني قريظة، فطائفة خافوا فوات الوقت فصلوا وطائفة قالوا: والله لا صلينا العصر إلا في بني قريظة، فبذلك أمرنا رسول الله ﷺ. ثم علم ﷺ باجتهادهم، فلم يعنف واحداً منهم(١).

وأعطى رسول الله ﷺ الراية علي بن أبي طالب، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم. ونهض علي وطائفة معه حتى أتوا بني قريظة ونازلوهم وسمعوا سب رسول الله فانصرف علي إلى رسول الله ﷺ، فقال له: يا رسول الله لا تبلغ إليهم وعرض له. فقال له: «**أظنك سمعت منهم شتمي، لو رأوني لكفوا عن ذلك**». ونهض إليهم، فلما رأوه أمسكوا، فقال لهم: «**نقضتم العهد يا إخوة القرود، أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته**»، فقالوا: ما كنت جاهلاً(٢) يا محمد فلا تجهل علينا(٣).

ونزل رسول الله ﷺ فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة، وعرض عليهم سيدهم كعب بن أسد ثلاث خصال ليختاروا أيها شاؤوا: إما أن يسلموا ويتبعوا محمداً على ما جاء به

---

(١) قال ابن كثير: وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو بل الإجماع على أن كلا من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف فقالت طائفة من العلماء: الذين أخروا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدر لها حتى صلوها في بني قريظة هم المصيبون؛ لأن أمرهم يومئذ تأخير الصلاة خاص فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدر لها شرعا قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب السيرة. وعلم الله أنا لو كنا هناك لم نصل العصر إلا في بني قريظة ولو بعد أيام وهذا القول منه ماش على قاعدته الأصلية في الأخذ بالظاهر، وقالت طائفة أخرى من العلماء: بل الذين صلوا الصلاة في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرهم هم المصيبون؛ لأنهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير إلى بني قريظة لا تأخير الصلاة فعملوا بمقتضى الأدلة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها مع فهمهم عن الشارع ما أراد ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها التي حولت إليه يومئذ كما يدعيه أولئك، وأما أولئك الذين أخروا فعذروا بحسب ما فهموا وأكثر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه، وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال كما فهمه البخاري حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا فلا إشكال على من أخر ولا على من قدم أيضا والله أعلم. البداية والنهاية(٤/ ١٢٥).

(٢) الجهل هنا بمعنى السفه أي ضد الحلم.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣ / ٣٧)، وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٣٧)، والقرطبي في تفسيره (٢ / ٧،٧ / ٣٤٦).

فيسلموا، قال: وتحرزوا أموالكم ونساءكم وأبناءكم فوالله إنكم لتعلمون أنه الذي تجدونه في كتابكم. وإما أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يتقدموا فيقاتلوا حتى يموتوا عن آخرهم. وإما أن يبيتوا(١) المسلمين ليلة السبت في حين طمأنينتهم فيقتلوهم قتلاً، فقالوا له: أما الإسلام فلا نسلم ولا ونخالف حكم التوراة(٢)، وأما قتل أبنائنا ونسائنا فما جزاؤهم المساكين منا أن نقتلهم، ونحن لا نتعدى في السبت.

ثم بعثوا إلى أبي لبابة، وكانوا حلفاء بني عمرو بن عوف وسائر الأوس، فأتاهم، فجمعوا إليه أبناءهم ورجالهم ونساءهم وقالوا له: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد؟ فقال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح إن فعلتم. ثم ندم أبو لبابة في الحين، وعلم أنه خان الله ورسوله، وأنه أمر لا يستره الله عن نبيه ﷺ. فانطلق إلى المدينة ولم يرجع إلى النبي ﷺ فربط نفسه في سارية، وأقسم لا يبرح مكانه حتى يتوب الله عليه. فكانت امرأته تحله لوقت كل صلاة. قال ابن عيينة وغيره: فيه نزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم﴾ [الأنفال: ٢٧]. وأقسم أن لا يدخل أرض بني قريظة أبداً، مكاناً أصاب فيه الذم. فلما بلغ ذلك النبي من فعل أبي لبابة قال: **«أما إنه لو أتاني لاستغفرت له، وأما إذ فعل فلست أطلقه حتى يطلقه الله»**، فأنزل الله تعالى في أمر أبي لبابة: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ الآية [التوبة: ١٠٢] فلما نزل فيه القرآن أمر رسول الله ﷺ بإطلاقه(٣).

ونزل في تلك الليلة التي في صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ ثعلبة، وأسيد ابنا سعية، وأسد بن عبيد، وهم نفر من هَدْل بني عم قريظة والنضير وليسوا من قريظة والنضير، نزلوا مسلمين، فأحرزوا أموالهم وأنفسهم. وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدي القرظي ومر بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة وكان قد أبى أن يدخل فيما دخل فيه بنو قريظة وقال: لا أغدر بمحمد أبداً، فقال له محمد بن مسلمة إذ عرفه: اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد النبي

---

(١) يبيتونهم: يأتونهم ليلا.

(٢) أي في إهمال العمل يوم السبت.

(٣) ابن هشام في السيرة (٤ / ١٩٦)، والطبري في تاريخه (٢ / ٩٩، ١٠٠)، وابن سيد الناس في عيون الأثر (٢ / ١٠٣)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤ / ١٢٦، ١٢٧).
وانظر الطبري في التفسير (٦ / ٢١٩)، وابن كثير في التفسير (٢ / ٣٩٨)، والقرطبي في تفسيره (٧ / ٣٤٦).

ﷺ ثم ذهب فلم ير بعد ولم يعلم حيث سقط. وذكر لرسول الله ﷺ أمره، فقال: «**ذلك رجل نجاه الله بوفائه**»(١).

فلما أصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثب الأوس إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله قد علمت أنهم حلفاؤنا، وقد شفعت عبد الله بن أبي بن سلول في بني قينقاع حلفاء الخزرج، فلا يكن حظنا أوكس وأنقص عندك من حظ غيرنا، فهم موالينا. فقال لهم رسول الله ﷺ : «**يا معشر الأوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟**» قالوا: بلى، قال: «**فذلك إلى سعد بن معاذ**». وكان رسول الله ﷺ قد ضرب له خيمة في المسجد، ليعوده من قريب في مرضه من جرحه الذي أصابه في الخندق. فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه فاحتملوه على حمار، وقد وطؤوا له بوسادة من أدم وكان رجلاً جسيماً. ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وأحاطوا به في طريقهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإنما ولاك رسول الله ﷺ ذلك لتحسن إليهم، فقال لهم: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض من معه إلى ديار بني عبد الأشهل فنعى إليهم رجال بني قريظة. فلما أطل سعد على النبي ﷺ قال للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم**»(٢) فقام المسلمون، فقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه: أن الحكم فيهم ما حكمت ؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من هنا ؟ من الناحية التي فيها رسول الله ﷺ ، وهو معرض عن رسول الله إجلالاً له. فقال له رسول الله ﷺ : «**نعم**»، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتسبى الذراري والنساء، وتقسم الأموال فقال له رسول الله ﷺ : «**لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة**»(٣) وأمر بهم رسول الله فأخرجوا إلى موضع سوق المدينة فخندق بها خنادق، ثم أمر بهم النبي عليه السلام فضربت أعناقهم في تلك الخنادق وقتل يومئذ حيي بن أخطب وكعب بن أسد. وكانوا من الستمائة

(١) ابن هشام في السيرة (٤ / ١٩٧)، والطبري في تاريخه (٢ / ١٠٠)، والطبري في تفسيره (١٠ / ٢٨٣)، والبيهقي في الكبرى (١٨٦٣٦)، وابن سيد الناس (٢ / ١٠٣)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤ / ١٢١).

(٢) القصة في سيرة ابن هشام بسياق أتم (٤ / ١٩٨-٢٠٦).

وأخرجه أحمد في مسنده (١١١٨٤)، والبخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨ / ٦٤)، وأبو داود (٥٢١٥)، وابن حبان (٧٠٢٨).

(٣) الأرقعة جمع رقيع، وهي السموات، سميت كذلك؛ لأنها مرقوعة بالنجوم، ولوحظ في الأرقعة التذكير؛ ولذلك جيء معها بالعدد مؤنثا، وكأنما المراد بها السقوف جمع سقف.

إلى السبعمائة. وقتل من نسائهم امرأة، وهي بنانة امرأة الحكم القرظي التي طرحت الرحى على خلاد بن سويد، فقتلته.

وأمر رسول الله ﷺ بقتل كل من أنبت منهم وترك كل من لم ينبت، وكان عطية القرظي من جملة من لم ينبت فاستحياه رسول الله ﷺ وهو مذكور في الصحابة[(١)]. ووهب رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس ولد الزَّبير بن باطا، فاستحياهم، منهم عبد الرحمن بن الزَّبير أسلم وله صحبة ووهب أيضاً عليه السلام رفاعة بن سموءل القرظي لأم المنذر سلمى بنت قيس أخت سليط بن قيس من بني النجار، وكانت قد صلت القبلتين، فأسلم رفاعة، وله صحبة ورواية.

وقسم عليه السلام أموال بني قريظة، فأسهم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهماً، وقد قيل: للفارس سهمان وللراجل منهم. وكانت الخيل للمسلمين يومئذ ستة وثلاثون فرساً، ووقع للنبي من سبيهم ريحانة بنت عمرو بن خناقة إحدى بني عمرو بن قريظة، فلم تزل عنده إلى أن مات ﷺ. وقيل: إن غنيمة قريظة هي أول غنيمة قسم فيها للفارس والراجل وأول غنيمة جعل فيها الخمس لله ورسوله وقد تقدم أن أول ذلك كان في بعث عبد الله بن جحش والله أعلم.

وكان فتح بني قريظة في آخر ذي القعدة وأول ذي الحجة من السنة الخامسة من الهجرة فلما تم أمر بني قريظة أجيبت دعوة الرجل الصالح سعد بن معاذ فانفجر جرحه، وانفتح عرقه، فجرى دمه ومات ﷺ. وهو الذي أتى الحديث فيه أنه **«اهتز لموته عرش الرحمن»**[(٢)] يعني سكان العرش من الملائكة، فرحوا بقدوم روحه واهتزوا له.

---

(١) الاستيعاب للمصنف (١ / ٣٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦)، وابن ماجه (١٥٨)، وابن حبان (٧٠٣١)، والحاكم (٣ / ٢٢٩).

ذكر من استشهد من المسلمين يوم الخندق

سعد بن معاذ أبو عمرو من بني عبد الأشهل، وأنس بن أوس بن عتيك، وعبد الله ابن سهل وكلاهما أيضاً من بني عبد الأشهل، والطفيل بن النعمان، وثعلبة بن عنمة وكلاهما من بني سَلِمَة، وكعب بن زيد من بني دينار بن النجار أصابه سهم غرب(١) فقتله.

ذكر من قتل من المشركين يوم الخندق

وأصيب من المشركين يوم الخندق: منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم مات منه بمكة، وقد قيل: إنما هو عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي اقتحم الخندق فقتل فيه، وعمرو بن عبد ود قتله علي مبارزة.

شهداء يوم قريظة

واستشهد من المسلمين يوم قريظة: خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو من بني الحارث ابن الخزرج طرحت عليه امرأة من بني قريظة رحىً فقتلته. ومات في الحصار أبو سنان بن مِحْصَن، فدفنه رسول الله ﷺ في مقبرة بني قريظة التي يتدافن فيها المسلمون السكان بها اليوم. ولم يصب غير هذين، ولم يغز كفار قريش المسلمين بعد الخندق(٢).

---

(١) سهم غرب: لا يعرف من أين أتى.

(٢) روى البخاري في صحيحه (٤١٠٩) عن سليمان بن صرد عن النبي ﷺ قال بعد انصراف الأحزاب: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا».

بعث عبد الله بن عتيك إلى قتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي

وانقضى شأن الخندق وقريظة. وكان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ممن حزب الأحزاب وألب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف في عداوته رسول الله ﷺ، وكانت الأوس والخزرج يتصاولان تصاول الفحول، لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله ﷺ غناء إلا قالت الخزرج: والله لا يذهبون بذلك فضلاً علينا ولا ينتهون حتى يوقعوا مثله. وإذا فعلت الخزرج شيئاً كفضل في الإسلام أو بر عند النبي ﷺ قالت الأوس مثل ذلك. فتذاكرت الخزرج من في العداوة لرسول الله ﷺ كابن الأشرف، فذكروا ابن أبي الحقيق، واستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله، فأذن لهم.

فخرج إليه خمسة نفر من الخزرج كلهم من بني سلمة، وهم: عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة بن ربعي، ومسعود بن سنان، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم. وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك، ونهاهم عن قتل النساء والصبيان. فنهضوا حتى أتوا خيبر ليلاً، وكان سلام في حصنه ساكناً في دار مع جماعة وهو في عِلِّيَة(١) منها، فاستأذنوا عليه، فقالت امرأته: من أنتم؟ فقالوا: أناس من العرب يطلبون المِيرة(٢) فقالت لهم: هذاكم صاحبكم، فادخلوا. فلما دخلوا أغلقوا الباب على أنفسهم، فأيقنت بالشر وصاحت، فهموا بقتلها، ثم ذكروا نهي النبي ﷺ عن قتل النساء والولدان، فأمسكوا عنها. ثم تعاوروه بأسيافهم وهو راقد على فراشه، أبيض في سواد الليل كأنه قبطية(٣)، ووضع عبد الله بن عتيك سيفه في بطنه حتى أنفذه، وهو يقول: قطني قطني(٤). ثم نزلوا.

وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر، فوقع، فوثئت(٥) رجله وثئاً شديداً، فحمله أصحابه حتى أتوا مَنْهَراً من سناهرهم(٦) فدخلوا فيه، واستتروا. وخرج أهل الآطام لصياح

---

(١) علية منها: أي الغرفة العليا في البيت.

(٢) الميرة: جلب الطعام.

(٣) القبطية: ثياب بيض من كتان تصنع بمصر.

(٤) قطني: كفاني.

(٥) وثئت: صدعت صدعا شديدا لا يبلغ الكسر.

(٦) المنهر: فضاء بين أفنية القوم يلقون فيه فضلاتهم أو كناساتهم.

امرأته وأوقدوا النيران في كل جهة، فلما يئسوا رجعوا. فقال أصحاب ابن عتيك: كيف لنا أن نعلم أن عدو الله قد مات؟ فرجع أحدهم، فدخل بين الناس، فسمع امرأة ابن أبي الحقيق تقول: والله لقد سمعت صوت ابن عتيك، ثم أكذبت نفسي وقلت: أنى ابن عتيك بهذه البلاد! قال: ثم إنها نظرت في وجهه، فقالت: فاظ[١] وإله يهود.

قال: فسررت، وانصرفت إلى أصحابي، فأخبرتهم بذلك.

فرجعوا إلى رسول الله ﷺ، فأخبروه، وتداعوا في قتله، فقال رسول الله ﷺ: هاتوا أسيافكم فأروه إياها، فقال عليه السلام عن سيف عبد الله بن أنيس: «**هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام**»[٢]. وحديث البراء بن عازب في قتل ابن أبي الحقيق بخلاف هذا المساق، والمعنى واحد.

غزوة بني لحيان

وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد فتح بني قريظة بقية ذي الحجة والمحرم وصفراً وربيعا الأول وربيعا الآخر، وخرج عليه السلام، في جمادى الأول في الشهر السادس من فتح بني قريظة وهو الشهر الثالث من السنة السادسة من الهجرة، قاصداً إلى بني لحيان، مطالباً بثأر عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وأصحابهما المقتولين بالرجيع.

فسلك عليه السلام على طريق الشام من المدينة على جبل يقل له: غراب، ثم أخذ ذات الشمال، ثم سلك المحجة من طريق مكة، فأغذ السير[٣] حتى أتى وادي غُران بين أمج وعُسفان وهي منازل بني لحيان، فوجدوهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال. فتمادى رسول الله ﷺ في مائتي راكب حتى نزل عسفان وبعث ﷺ رجلين من أصحابه فارسين حتى بلغا كراع الغميم، ثم قر ورجع ﷺ قافلاً إلى المدينة.

وفي غزوة بني لحيان قالت الأنصار: المدينة خالية منا وقد بعدنا عنها ولا نأمن عدواً يخالفنا إليها، فأخبرهم رسول الله ﷺ أن على أنقاب المدينة ملائكة، على كل نقب منها ملك يحميها بأمر الله عز وجل[٤].

---

(١) فاظ: مات.

(٢) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (٤ / ٢٣٥)، كما رواه البخاري بنحوه في المغازي (٤٠٣٩، ٤٠٤٠).

(٣) أغذ السير: أسرع.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨٠)، ومسلم (١٣٧٩ / ٤٨٥) عن أبي هريرة.